الرؤى الثالثة عشر

الحالمة

عبير مصطفى

و إنه منذ اندلاع موجات الخلق الأولى، أدمنتكَ أنا،

و ما كان قد كان.

عبير مصطفى

obeikan.com

الحالمة

(أحقًّا ما تقول أم أنك تُخبرني بذلك فقط ليطمئن قلبي؟)، قالتها ثم رمته بنظرة حيرى، حملتها بكل ما يعتمل بذات نفسها التي تبغي سبيلًا آمنًا لتسلكه، ابتسمت لها عيناه قبل شفتيه، وقال لها (لا أدرِ أنا لمَ تُثيرين ذات الأمر كل بضعة أيام؟ أنا أحبكِ وأنتِ بذلك عليمة، أفلا تنضجين قليلًا بالله عليكِ؟) كادت تستحثه المزيد من التأكيد حين قاطعها صوت هذي المعزوفة الموسيقية التي تهيم هي بها عشقًا، والتي اعتاد قلبها كلما استمع إليها أن يحملها صوب آفاق بعيدة، مُحلقًا بها نحو سموات عُلا، يسبح بين أفلاك وأقمار، إنه هاتفها إذا يئن بإصرار معلنًا استقباله لمكالمة واردة.

فتحت ندي عينيها بينما " صوت تلك المعزوفة الموسيقية " ما زال يتردد في أنحاء روحها، نظرت في تكاسل إلى الهاتف الذي كانت قد هيئته مُسبقًا على تلك النغمة لإيقاظها في ذلك الوقت، ونهضت متثاقلة لتُسكت رناته، حدثتها نفسها بأنه حُلم جديد من أحلام المُنبه، والتي قرأت عنها كثيرًا مؤخرًا، حين يتداخل صوت مؤثر خارجي في مجريات الحلم ذاته ليحتل مكانًا بارزًا بين جنباته.

(الحُلم)، استعذبت الكلمة بين شفتيها ورددتها في شرود، في وله، إنه بالنسبة لها الآن هو الباب الخلفي للهروب من كل ضغوطاتها وانفعالاتها، تستودعه أحداث يومها، وكل ما تتمناه

عليها روحها المُحلقة أبدًا في أقاصي الكون، بين السُدم والنجوم، وكان هو يكافئها على ثقتها في عالمه، إذ يمنحها كونًا خاصًّا بها وحدها، ألا ليتها تستطيع تحويل مسار حلمها، وتتمكن من قيادة دفته، والعبور به إلى الشمس والموجودات من حولها، حتى يُصبح واقعًا ملموسًا لها، وكي تنتفي عنها تلك الصفة التي يرمونها بها كلما تفوهت شفتاها بقول أو أقدمت على فعل ما، (الحالمة) لقبها الذي ألصقوه بها، وكأنه سُبة بذيئة وعليها الخلاص منها.

اصطدمت عيناها بصورة حسام خطيبها الموضوعة بجوار الفراش يبتسم في سعادة وكأنه يمتلك ساحات الفضاء الواسعة، ابن عمها هو، منذ أن أشرقت شمس حياتها على هذه الدنيا وهي لا ترى غيره، أحبته منذ أن تعلمت التقاط أنفاسها، غير أنها كانت لا تستطيع البوح بذلك، أما هو فلم يشعر يومًا بروحها وهي تناديه، أحب امرأة أخرى غيرها وتزوجها، التقمت هي جذوة أحزانها وحدها في ذلك الوقت، وحاولت جاهدة تجاوز الأمر وتقبُل قراره كأمر واقع، غير أنها لم تستطع قط الارتياح لزوجته، كان هناك دائمًا صوت خافت ينبعث من أعماق روحها يُنبئُها يقينًا بأن زوجته هذه ليست نقية السريرة.

كانت ترى تصرفاتها معه وظاهرها الود، إلا أن ذاك الصوت استمر يتردد بداخلها في إيقاع مُصر متكرر صاخب، وكأنه قرع

طبول حرب ضارية، تتصاعد دقاته حتى وكأنها تملأ كيانها بأسره، فلا تستطيع منها فكاكًا.

ولكم كان إحساسها صادقًا ففي غضون أشهر قليلة بدأت سماء حياته مع زوجته تتلبد بالغيوم، وتُنذر بأعاصير عاتية، حيث انكشف معدن زوجته الصَّدِئ المستتر خلف ذاك المظهر البراق، وبدأت سحاباتها تُمطر سيولًا طاغية، كان هو يبتلعها في جوفه مرارًا وكأنه أرض عطشى للأمطار.

كانت تراه يتعذب من جراء تلك الزيجة ولا تملك من أمرها شيئًا له إلا الدعاء بأن يمتلك زمام أمره، وأن يجرؤ على اتخاذ قرار طالما تمناه عليه قلبها، ليس من أجلها هي فقط وإنما من أجله هو أيضًا، من أجل رجولته التي كانت تراها تُسحق تحت سطوة زوجته، وسيطرتها المطلقة على مشاعره وأحاسيسه، ومن أجل أن يعود كما كان في نظرها سابقًا سيدًا لكل رجال الكون.

حتى إذا ما انقشعت الغمامة أخيرًا عن عينيه واتخذ قراره بالانفصال كانت ندى أول من سارع إليه، انتشلته من أمواج الأحزان التي كان يصارعها يائسًا، سحبته رويدًا رويدًا إلى أمان قلبها، أطعمته روحها، حتى أحست به أخيرًا وقد برأ من عذاباته، وبدأ يعود إلى سابق عهده، وبدا وكأنه يراها للمرة الأولى، بدأ يأنس إلى أحاديثها، ويسكن إليها، كان وقتها يُكثر من زياراته إلى دارهم، وبتلك

الحاسة التي تُولد بها كل الإناث أحست هي بأن حبها قد بدأ يتردد صداه بين جوانحه، وبأن عشقها له قد بات له مردود بداخل قلبه.

ويوم أن زين يدها اليمني بخاتمه كان وكأنه يوم تؤرخ به أيام حياتها، "حياتها قبل ارتباطها به، وحياتها بعد الارتباط"، فما تلا ذلك كان أجمل من أن يُصَدَّق، عاشت هي وقتها تسعة أشهر وكأنها تحلم، حتى إذا ما اقترب ميعاد زفافهما أخيرًا إذا به يتغير فجأة، ولم تدرِ هي لذلك سببًا، وكان يعلل لها ذلك بانشغالاته في العمل، لم تستطع وقتها هضم مبرراته، أنبأها قلبها أن هناك أمرًا جللًا يخفيه عنها، استحثته القول مرارًا ومرارًا فلم تُحَصِّل منه جوابًا قط.

بدأت وقتها رحلتها في الهروب إلى عالم الأحلام كل ليلة، حتى كانت ليلة أمس عندما نما إلى علمها أن طليقته قد زُفت إلى صديقه المُقرب، أدركت حينها سر شروده طوال تلك الفترة الماضية، يا الله، لقد استيقظت ذكرياته من سباتها الطويل، وهي التي كانت تعتقد أنه قد وأدها منذ أبدٍ في صحراء ماضيه، وأهال عليها الرمال.

زفرت بقوة عند وصول ذكرياتها إلى تلك المنطقة الشائكة، وكأنها تُطلق كل آلامها إلى خارج قلبها، حالمة هي حقًّا، غير أنها تُوقن من حبها له، تشق في قدرتها على استرجاع قلبه من مستنقع الذكريات المميتة التي ألقى بنفسه فيها، لذا فقد عقدت العزم على

ألا تتركه ينساق وراء أحزان تُكبل قدميه، وتسحبه خلفها حيث تنتظره أحلامه الموءودة كرمال متحركة يغرق فيها من جديد، إن قلبها العاشق قد أصدر قراره وارتضته نفسها، فما هي إلا أسابيع قليلة تفصلهما عن بدء رحلة حياتهما معًا، وعليها أن تذلل أية عقبات قد تُحيق بطريقهما.

ألقت على صورته نظرة أخيرة ونهضت لترتدي ملابسها لتذهب إليه وتستعيده من جديد، يحركها يقين بأنها على ذلك لقديرة، تجهزت للقائه، وبينما هي في طريقها إلى باب المنزل تهم بالخروج، إذا بها تجد حسامًا خطيبها جالسًا مع والدتها يتبادلان الحديث، اعترتها الحيرة من سر قدومه المفاجئ، غير أنها تمالكت نفسها وأقبلت عليه مُبتسمة له، مدت يدها لتُسلم عليه، فما كان منه إلا أن احتضن يدها بين يديه الاثنتين في حنوٍّ شديدٍ، تعللت والدتها بحاجتها لإجراء مكالمة هاتفية وتركتهما معًا.

كان هو لا يزال محتفظًا بيدها بين يديه، رفعت عينيها إليه في قلق، في تساؤل، فاصطدمت عيناها بتلك النظرة الولهى التي ينظر بها إليها، فلم تحتج وقتها لسماع ما سوف يقول، غير أنها لم تستوقفه القول عندما حدثها قائلًا بصوتٍ أحسته نابعًا من روحه ذاتها:

"لا أدري كيف أعتذر لكِ عما حدث في الفترة السابقة، غير أن كل ما أستطيع قوله أني كنت أحتاج لتلك الفترة بشدة، لإعادة

النظر في كل ما مر بي طوال حياتي، فهل تُصدقينني إذا ما قلت لكِ أن صورتكِ الحبيبة هذه لم تبرح خيالي قط؟ وأن صوتكِ الشجي هذا كنت دائمًا ما أجد صداه يتردد بداخل قلبي، وأني كنت كلما حاوطتني أشباح الماضي بأنفاسها الثقيلة، أجد طيفك ماثلًا أمام ناظري، وكأنه جاء ليذود عني تلك الضلالات.

فترة عصيبة كدت أستسلم فيها لنداءات المجهول مرات عدة، ولكنه حبك أنتِ هو ما دلني السبيل، كنت أستعيد أوقاتنا معًا، فأجد في كلماتكِ هدوء قلبي، وفي نظرات عينيكِ سكينةً لنفسي، وفي ابتسامتك العذبة هذه رُسوًا لأحلام عمري، ابتعدت عنكِ لبعض الوقت، غير أنكِ لم تفارقيني ولو للحظات، فهلا غفرتِ لي ابتعادي هذا؟ وهلا منحتِ قلبي فرصة ليثبت لكِ أنكِ لديه بكل هذه الحياة؟"

ابتسمت له ابتسامة بحجم الكون كله، بحجم عشقها له، ولم تدرِ إلا وهي تحتضنه قائلة: " لقد غفرت لك منذ زمن بعيد، من قبل حتى أن أوجد في هذه الحياة"، ابتعد عنها قليلًا لينظر لها في هيام، في عشق، لم يكن أي منهما في حاجة إلى كلمات جديدة ليؤكد بها قدر حبه للآخر، فقد كانت أعينهما تترجم أحاسيس قلبيهما، وكأن تلك الأعين لها لغة خاصة بها، لغة لا يُدركها سوى من كان مثلهما من العشاق.

تمت بحمد الله

عبير مصطفي محمد

- كاتبة مصرية من مواليد القاهرة.
- صدر لي كتاب (رسائل لم تصل إليكَ)
- شاركت في مجموعتين قصصيتين تحت عنوان (هذا أنا)، و(رؤى حالمة).
- شاركت في مجموعة خواطر وأشعار تحت عنوان (أوتار) .
- شاركت في مجموعة قصصية تحت عنوان كوكب العزلة .
- مذيعة براديو "بنت الزيات" وراديو "تردد".
- حاصلة على بكالوريوس في العلوم الزراعية في البساتين وتنسيق الحدائق.
- أهوى القراءة وكتابة الأشعار والخواطر، وأحب كتابات إحسان عبد القدوس ويوسف السباعي.
- أكتب منذ الصغر لأن الكتابة تأخذني معها في عالم خيالي بعيد عن قبح العالم من حولنا، وأحلم بأن يصل ما أكتبه إلى أبعد مدى.

- للتواصل معي على حسابي على موقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك)
https://www ،facebook ،com/abeer ،mostafa ،90475

obeikan.com